

النقد الثقافي: مفهومه، حدوده، وأهم رواده.

الدكتورة: صورية جغبوب

كلية الآداب واللغات- قسم الأدب العربي-

جامعة عباس لغرور -خنشلة-

ملخص:

يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب و النقد، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية، و السيميائيات، والنظرية الجمالية، التي تعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة، أو ظاهرة فنية وجمالية كم جهة أخرى.

ومن ثم فقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة و النقد معا، بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي و الاجتماعي السياسي و التاريخي و المؤسساتي فهما وتفسيرا.

وبعد ظهور النقد الثقافي في الساحة العربية، أثار جدلا كبيرا بين المثقفين و النقاد العرب بما يدعو لقطيعه النقد الأدبي، و الدعوى إلى نقد ثقافي أكثر تحرا و اتساعا عن النص إلى دراسة الأنساق بشكل عام، مما أدى إلى تيار محافظ ينبذ هذا الفكر و الانساق وراه بما يحمله من ثقافة غربية متحررة تدعو إلى إحلال ثقافتها مكان الثقافة العربية الإسلامية، مما جعل المثقف العربي لا يقبل بديلا للفكر الإسلامي و يرفض الشعبية لمنجز الآخر، لأنه يحمل أفكارا مجهولة بالنسبة لمتعاطيه، وبالتالي ستكون له أثار مجهولة، والخوض في المجهول يحتاج إلى جرأة، و كثيرا ما ترمى الجرأة بصفات غير محمودة مثل: التحرر، الانحلال، الفساد، الإفساد، وخيانة القيم الأصيلة...، ومن هنا كان الجديد مخيفا للمجتمع المحافظ على قيمته التي يعتقد بصحتها و قدسيتها، وبالتالي فلن يغامر مغامرة تبعده عن أصوله و تراثه.

ونظرا لما صاحب النقد الثقافي من غموض لدى دعائه ورواده حول مفهومه، والاضطراب في دلالاته وإجراءاته مما أثار في ذهن المتلقي العربي عدة تساؤلات حول هذا المصطلح منها ما مفهومه النقد الثقافي، ومن أهم رواده في العالمين الغربي و العربي، و أهم الانتقادات الموجهة إليه، ويأتي البحث للإجابة عن تلك الأسئلة.

المداخلة:

تمهيد:

يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية، والسيمائيات، والنظرية الجمالية، التي تعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة أو ظاهرة فنية وجمالية من جهة أخرى.

ومن ثم فقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة والنقد معا، بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسسي فهما وتفسيرا.

وبعد ظهور النقد الثقافي في الساحة العربية، أثار جدلا كبيرا بين المثقفين والنقاد العرب بما يدعوا لقطيعه النقد الأدبي و الدعوى إلى نقد ثقافي أكثر تحمرا و اتساعا من النص إلى دراسة الأنساق بشكل عام، مما أدى إلى تيار محافظ ينبذ هذا الفكر و الانساق وراءه بما يحمله من ثقافة غريبة متحررة تدعو إلى إحلال ثقافتها مكان الثقافة العربية الإسلامية مما جعل المثقف العربي لا يقبل بديلا للفكر الإسلامي ويرفض التبعية لمنجز الآخر لأنه يحمل أفكارا مجهولة بالنسبة لمتعاطيه، وبالتالي ستكون له أثار مجهولة. والخوض في المجهول يحتاج إلى الجرأة، وكثيرا ما ترمى الجرأة بصفات غير محمودة مثل: التحرر، الانحلال، الفساد، الإفساد، وخيانة القيم الأصيلة...، ومن هنا كان مخيفا للمجتمع المحافظ على قيمه التي يعتقد بصحتها وقدسيته، وبالتالي فلن يغامر مغامرة تبعده عن أصوله وتراثه.

ونظرا لما صاحب النقد الثقافي من غموض لدى دعائه ورواده حول مفهومه، والاضطراب في دلالاته وإجراءاته مما أثار في ذهن المتلقي العربي عدة تساؤلات حول هذا المصطلح منها ما مفهوم النقد الثقافي، ومن أهم رواده في العالمين الغربي و العربي، وأهم الانتقادات الموجهة إليه، وبأني البحث للإجابة عن تلك الأسئلة.

أولا: مفهوم النقد الثقافي:

من المعلوم أن مصطلح الثقافة عام وفضفاض في دلالاته اللغوية والاصطلاحية ويختلف من حقل معرّفي إلى آخر، وهو من المفاهيم الغامضة في الثقافتين العربية و الغربية على حد سواء. فالثقافة بطابعها المعنوي والروحاني تختلف مدلولاتها من البنيوية إلى الأنثروبولوجيا وما بعد البنيوية. وتندرج

الثقافة مجاليا ضمن الحضارة التي تنقسم إلى شقين: الشق المادي و التقني ويسمى بالتكنولوجيا، و الشق المعنوي والأخلاقي و الإبداعي ويسمى بالثقافة.

ومن ثم يمكن الحديث عن نوعين من الدراسات التي تنتمي إلى النقد الحضاري، الدراسات الثقافية التي تهتم بكل ما يتعلق بالنشاط الثقافي الإنساني وهو الأقدم ظهورا، والنقد الثقافي الذي يحلل النصوص و الخطابات الأدبية والفنية والجمالية الشعرية، وهو الأحدث ظهورا بالمقارنة مع النوع الأول. وبالتالي يعنى النقد الثقافي بالمؤلف، والسياق، والمقصدية، والقارئ، والناقد، ومن ثم فالنقد الثقافي نقد إيديولوجي وفكري و عقائدي....

وبالتالي فالنقد الثقافي يدرس النص من حيث علاقته بالإيديولوجيات و المؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ويقوم بالكشف عنها وتحليلها بعد عملية التفسير النصية. أو يمكن القول إنه هو الذي يدرس الخطاب بغض النظر عن كونه شعرا أو كلاهما شعبيا أو غير ذلك فيقوم بتحليله لكشف أنظمته العقلية وغير العقلية بتعقيدها و تعارضها. وانطلاقا من هذا تدخل كل الخطابات في مجال النقد الثقافي وهذا يبعد الانتقائية المتعالية التي تفصل بين النخبوي والشعبي وليس من الضروري استبعاد الدراسة الجمالية أو الدراسة الأدبية باعتبارها جزءا من الثقافة. وعلى هذا الأساس يدخل النقد الأدبي مع النقد الثقافي الذي يضم بدوره كما من المعارف الإنسانية والفلسفية والأدبية، ومن هنا فلا خوف على الأدب من هجر الخصوصية التي يمثلها في طريقة التعامل معه وبذلك تتم دراسة النص باعتباره أدبا وخطابا ثقافيا.

فالنقد عندما اقتصر على الجمال استنفد كل طاقاته وإمكاناته حتى "قد بلغ حد النضج، أو سن اليأس (...)" ولم يعد قادرا على تحقيق متطلبات المتغير والمعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالميا وعربيا⁽¹⁾ على حد تعبير عبد الله الغدامي، وهو من خلال هذه الفكرة يعلن موت النقد الأدبي ويقدم مشروعا جديدا يسميه النقد الثقافي.⁽²⁾

وإن كان النقد الثقافي قد حدد بهذه الطريقة عند عبد الله الغدامي فإن هناك بعض المشكلات على مستوى النظرية والمنهج، وتكمن هذه المشكلة أساسا في المفهوم نفسه حيث يحاول في كتابه النقد الثقافي وضع حد لهذا الأخير -النقد الثقافي- وإخراجه من سلطة النقد الأدبي المتمثل في الجمالية فقط وبذل جهدا في ذلك يقول: "على أن الأداة النقدية لمصطلح وكنظرية مهياة لأداء أدوار أخرى غير ما سخرت له على مدى قرون من الممارسة والتنظير من خدمة للجمالي وتبريره له وتسويق لهذا

المنتج وفرضه على المستهلك الثقافي، وبما أن الأداة النقدية مهياة لهذه الأدوار النقدية الثقافية خاصة مع ما تملكه كم الخبرة في العمل على النصوص ومع ما مرت به من تدريب وامتحان لفعاليتها في التحليل و التأويل المنضبط والمجرب فإن التفريط بها أو التخلي عنها سيحرمانا من وسيلة ناجحة وسيجعلنا خاضعين لسلطة الخطاب المدرس أو ليهمنة المقولة الفلسفية التي يستند إليها تفكيرنا⁽³⁾ فمن خلال هذا النص يحاول الغدامي أن يقنعنا بأن مصطلح النقد لا بد أن يخرج من السلطة الأدبية، لأن صفة الأدبية قيد ينبغي التحرر منه من قبل النقد لأننا على حد تعبير الغدامي "بحاجة إلى نقلة نوعية تمس السؤال النقدي ذاته ولكن ذلك لن يتحقق كما يشير ما لم تتحول الأداة النقدية ذاتها وهو تحول أو تحويل ضروري إذا كانت الأداة متلبسة بموضوعها الأدبي أو موصوفة به فالنقد موصوف بأنه أدبي مثلما أن النظرية تفيد دائما بصفة الأدبية والأدبية هنا هي المعنى المؤسساتي لهذا المصطلح من هنا لا بد أن تخلص ما هو أدبي من حدة المؤسساتي"⁽⁴⁾

ويؤكد الغدامي على هذه الفكرة ويدعو إلى التحرر من مصطلح أدبي وأدبية من التصور الرسمي المؤسساتي أيضا يقول: "بحيث يعاد النظر في أسئلة الجمالي وشروطه وأنواع الخطابات التي تمثله، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى لا بد من الاتجاه إلى كشف عيوب الجمالي، والإفصاح عما هو قبحي في الخطاب، وكما أن لدينا نظريات عن الجماليات فإنه لا بد أن توجد نظريات في (القبحيات) أي في عيوب الجمالي وعقله، وهي نوع من علم العلل كما في مصطلح الحديث"⁽⁵⁾

ويبدوا من خلال هذا أن مفهوم المؤسساتي مفهوم فيه ضبابية كبيرة وعتمة مضللة للقارئ كما هو الشأن في النقد الثقافي، لكن ما هو واضح تمام الوضوح أن فكرة عبد الله الغدامي في تقييد المفهومين النقد و الأدبي على الرغم من معرفتنا المسبقة بأن النقد هو من أحد المفاهيم الحرة، فهو ينتقل من مجال إلى مجال دون قيد أو شرط بحيث تحس بأنه جزء من المجال الأدبي مرة، وبأنه جزء من المجال الاجتماعي والاقتصادي وأيضا الأسطوري...

وبذلك لا يصبح النقد جزء احتكاري من النظرية النقدية فحسب، بل هو جزء من نظرية المعرفة عبر آماها الموضوعية والمنهجية والتاريخية، وقد أكد بعض الباحثين المحدثين مبدأ تحرر مفهوم النقد وشموليته حيث يرون " أن النقد لا يعود بشكل واحد من الفنون الفكرية العديدة بل يصبح هو الفعل الفكري برمته"⁽⁶⁾

أما فيما يخص فصل الأدب أو الأدبية عن ما هو رسمي أو مؤسسي فلا يمكن قبوله قبولاً تاماً لأن " العمل الأدبي جزء مباشر من المحيط الأدبي، أي مجموع كل الأعمال الأدبية الفعلية، اجتماعياً في مرحلة محددة، ومجموعة اجتماعية خاصة ويمكن القول من وجهة نظر تاريخية دقيقة إن العمل الأدبي الخاص عنصر تابع ومن ثم لا ينفصل عملياً عن المحيط الأدبي، وهو يحتل مساحة محددة في هذا المحيط، وتحدده مباشرة تأثيرات هذا المحيط، عندها سيكون من العبث أن نعتقد أن العمل الذي يحتل مساحة في المحيط الأدبي يمكن أن يتجنب تأثيراته المباشرة أو يكون استثناء من وحدته وانتظامه"⁽⁷⁾

وبالتالي لا يمكن في إطار هذا النظام المعقد أن نفصل مفهوم الأدبية عن كل ما هو رسمي أو مؤسسي مع اعتقادنا الواقعي أن ما هو مؤسسي لا ينفصل عن المحيط الاجتماعي والاقتصادي أو الأيديولوجي . وبالتالي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نفهم العمل الأدبي خارج الأدب و أيضاً لا يمكن فهمه خارج الحياة الأيديولوجية فذلك لا يمكن دراسته خارج قوانين التطور الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي.

وإذا عدنا إلى تحديد مفهوم النقد الثقافي كما يراه رواده في العالم العربي والغربي يمكن القول أنه عبارة عن مقارنة متعددة الاختصاصات، تنبني على التاريخ، وتستكشف الأنساق والأنظمة الثقافية، وتجعل النص أو الخطاب وسيلة أو أداة لفهم المكونات الثقافية المضمرّة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي.

ثانياً _ المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي⁽⁸⁾:

1- الأنساق المضمرّة:

ينبني النقد الثقافي على نظرية الأنساق المضمرّة، وهي أنساق ثقافية وتاريخية تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، ويكون لها دور في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية لأن النقد الثقافي مشروع في نقد الأنساق، والنسق مرتبط بكل ما هو مضمر.

2- المجاز الكلي:

المجاز الكلي هو المفهوم البديل عن المجاز البلاغي، وفي المجاز الكلي تنشأ الجملة الثقافية وتنشأ الدلالة النسقية، والجملة الثقافية مرادفة لمصطلحي الجملتين النحوية والأدبية، والفرق بين الجملة

الثقافية يماثل الفرق بين الجملة الأدبية والجملة النحوية، وبين المعنى والدلالة، وبين الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية، فإن النقد الثقافي يميز بين ذلك كله، وبين الجملة الثقافية معها الدلالة النسقية ومفهوم المحاز الكلي كتطور نظري ومفاهيمي باتجاه نقد الأنساق، لا نقد النصوص، وباتجاه التأسيس لوعي نظري و نقدي مختلف نوعيا وإجرائيا.

3-التاريخانية الجديدة:

وتعتبر من الافرازات النقدية لمرحلة ما بعد النبوية، وتجتمع فيها العديد من العناصر التي هيمنت على اتجاهات نقدية أخرى منها الاتجاه الماركسي التقويضي، إضافة إلى ما توصلت إليه أبحاث الأنثروبولوجيا الثقافية و غيرها، وتجتمع هذه العناصر لتدعم التاريخانية الجديدة في سعيها إلى قراءة النص الأدبي في إطاره التاريخي والثقافي حيث تؤثر الأيديولوجية وصراع القوى الاجتماعية في تشكل النص، وحيث تتغير الدلالات و تتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية.

ثالثا رواد المنهج الثقافي:

1- الرواد الغربيون⁽⁹⁾:

-ميشال فوكو (1926-1984):

فيلسوف فرنسي من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالمدرسة البنيوية، أما في مشروعه الثقافي فقد حلل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" كما عالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون، وابتكروا مصطلح "أركيولوجية المعرفة"، كما حاول التأريخ للجنس من خلال "حب الغلمان عند اليونان" وصولا إلى معالجته الجدلية المعاصرة كما في "تاريخ الجنسية" له أيضا هذا المجال كتاب "كلمات والأشياء" صدر أواخر الستينات، وهو بحث حفري في العلوم الإنسانية.

-ريتشارد هوجارت:

ويعتبر من مؤسسي الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة بيرمنجهام، ويعد كتابه "فوائد القراءة والكتابة" كتابا تأسيسيا في هذا المجال .

-ريموند ويليامز:

ومن مؤلفاته " الثقافة و المجتمع " و "الثورة طويلة الأجل " ويرى ويليامز أن الثقافة كيان واحد لا يتجزأ، وأسلوب حياة كامل من الناحية المادية والفكرية والروحية، وقد تتبع مراحل تطور الثقافة، كما اهتم بمنظور الثقافة الإنسانية في مجتمعات معينة حيث تشكلها الأنظمة المحلية والمعاصرة.

-ستيوارت هول :

عالم اجتماع وناقد أدبي، انضم إلى مركز الدراسات الثقافية منذ تأسيسه، وقد أمد هول حقل الدراسات الثقافية بتأثيرات ماركسية محورة أو مطورة، وظل مؤمنا بضرورة أن يكون لهذا الحقل من الدراسات ارتباط وتأثير في الواقع. فالقيمة الحقيقية عنده للمعرفة ولل فكر تتمثل في مقدار تفاعلها وتأثيرها على المجتمع. وقد تأثرت الدراسات الثقافية البريطانية بكتابات ألطوسير وأنطونيو امشي غرامشي بوجه خاص، إضافة إلى تأثيرات ماركسية أخرى.

-بيير بورديو :

وبعد من أعلام الدراسات الثقافية الفرنسية، وما يراه أن الملكة الثقافية هي القدرة على قراءة الشفرات وفهمها، إلا أن هذه القدرة ومن ثم الملكة الثقافية لا يتم توزيعها بين الطبقات الاجتماعية بشكل متاح.

-اشيش كاندي:

عالم نفسي وناقد ثقافي، الأدب الروحي للدراسات الثقافية في جنوب شرق آسيا، طور هذا الحقل ليصبح نشطا محليا يمكن ممارسته في مجالات المعرفة والهوية، وهو يعد نفسه من ضحايا التاريخ، ومجموعة من الأفكار الغربية مثل: العلم، العقلانية، التنمية، الدولة المستقلة... وهذه المعطيات هي التي حاول الوقوف عندها من خلال تناوله لمشروعه الثقافي.

كما ضم النقد مجموعة أخرى كبيرة من المنظرين أمثال رولان بارت، كلود ليفي شتراوس، هوكو، جاك لاكل، جاك دريدا، أندري بيزيه، ميخائيل باختين، فلاديمير بروب، كارل ماركس، ماكس فيبر، شارمان رومان جاكيسون، مراموند، كارل يونغ،....

وتجدر الإشارة هنا وأثناء التعامل مع أفكار هؤلاء المنظرين إلى أن هذه الأفكار مشوبة بالتعقيد، وذلك لأنهم غالبا ما يبدلون أفكارهم على مر السنين، ولذا يجب أن تدرس هذه الأفكار والموضوعات بطريقة تراعى فيها هذه المتغيرات كذلك كثيرا ما يخالف بعض أتباع نظريات معينة المنظرين الأصليين في طريقة تفسير بعض المصطلحات.

كما أنه يجب أن يلاحظ أن كثيرا من النقاد الذين سبق ذكرهم هم في الأصل ليسوا منتيمين إلى مدرسة النقد الثقافي إنما كانت لديهم اهتمامات مذهبية وفكرية كثيرة، و هم بجوار اهتمامهم بالنقد الثقافي ظلوا منتيمين الى أفكارهم السابقة.

2-الرواد العرب⁽¹⁰⁾:

__ادوارد سعيد:

مفكر و ناقد ومنظر ذو أصول فلسطينية (1935-2003) ويعتبر كتابه " الاستشراق " أحد نتائج هذه المنهجية الدراسية، فانطلاقا من تصورات الاستعمار والاستعمار الجديد اللذين هيمننا على جزء كبير من أقاليم الكرة الأرضية. انكب ادوارد سعيد على دراسة انعكاسات تلك التصورات الاستعمارية في الأفكار السياسية الغربية، والأبحاث التاريخية، وأبحاث الآثار، وامتد تحليله إلى رحلات الاستكشاف والأدب الروائي والمسرحي، والفلسفة، وصولا إلى الثقافة الشعبية، ولقد فتح هذا الكتاب أفقا جديدة في ميدان البحث وعلاقات البحث بين الغرب والمشرق العربي المعقد، وكانت نظريته متميزة بمعالجة دقيقة ومعايشة مهمة لرواد الثقافة العربية، وكانت له تحليلات مهمة للفن العربي والشرقي.

__محمد عابد الجابري:

له دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية سنة 1985.

__جبار عصفور:

وذلك من خلال تناوله للكثير من القضايا النقدية التي تنشر في مجلة العربي الكويتية شهريا.

__ إدريس الخضراوي:

وذلك من خلال كتابه "الأدب موضوعا للدراسات الثقافية"، الذي يحاول الاقتراب من مجموعة من القضايا الشائكة التي تدور أسئلتها المتعددة حول النقد ومفهومه، وما أنتجه ذلك من جدل وسجال في تاريخ المعرفة الأدبية، فضلا عن تاريخ الأفكار وتحليلاتها المتعددة في نظرية الأدب بشكل عام. وقد قدم الباحث في هذا الكتاب لنماذج من النقد الثقافي عند كبار مؤسسيه، وممارسيه في الزمن الثقافي المعاصر وقد جمع قضايا النقد في: الذات، الهوية، الآخر، المرأة، وقد حاول من خلال هذا العمل لم تشبعات وتداخلات أنساق ثقافية معاصرة لمرجعيات مختلفة، والفائدة تلمس في التعرف على لغة نقدية جديدة انتصرت لمفهوم نظري و إجرائي أخذ يتجذر في الممارسة الثقافية

النقدية العربية المعاصرة، إنه مفهوم النقد الثقافي الذي لا يقتصر على النقد بل قد يمتد إلى الأدب الذي هو في جوهره نص ثقافي، يعكس كتابة متعددة الأنظمة والصيغ والأنساق.

—مالك بن نبي:

الذي نشر كتابا في عام 1959 بعنوان مشكلة الثقافة تحت عنوان أشمل هو مشكلات الحضارة وقيمة كتاب مالك بن نبي تاريخية وتأسيسية في الوعي بمسألة الثقافة العربية.

—زكي نجيب محفوظ:

وله كتاب في هذا المجال يحمل عنوان " تحديث ، الثقافة العربية .

وغيره هؤلاء من الرواد كثير، وتدل هذه العناوين بمفكرتها، على وعي أصيل بالمسألة الثقافية، إلى جانب ما تناوله من موضوعات لها علاقة بالثقافة العربية، بجانب الكثير من الأعمال النقدية التي تناولت النصوص العربية.

—عبد الله الغدامي:

ويعتبر أكبر النقاد العرب الذين تبنوا منهج النقد الثقافي، بل ذهبوا إلى حد تطبيقه على الثقافة العربية، وكانت أول كتبه في مشروعه النقدي عبارة عن دراسة لخصائص شعر حمزة شحاته الألسنية، تحت اسم " الخطيئة والتكفير، من البنيوية الى التشريرية " كما أن له كتاب تحت اسم "حكاية الحائثة في المملكة العربية السعودية" الذي أثار جدلا واضحا حيث يؤرخ للحدائث الثقافية في السعودية، ويعد الغدامي من الأعلام البارزة في المشهد الثقافي العربي، وله عدة مؤلفات في النقد العربي، وقد أصدر أكثر من كتاب في شتى حقول المعرفة والنقد أبرزها: الخطيئة والتكفير، التفكير والتفكير، تشريح النص، الصوت الجديد القلم، الموقف من الحادثة، الكتابة ضد الكتابة، ثقافة الأسئلة، القصيدة والنص المضاد، المشكلة والاختلاف، رحلة إلى جمهورية النظرية، المرأة و اللغة، القارئ المختلف.

ويعتبر كتاب "النقد الثقافي في قراءة في الأنساق الثقافية العربية " كتابا مثيرا حتى اتسم بجرأة وشجاعة طرح فكرة النقد الثقافي طرحا جديدا كما أصل لهذه الفكرة نظريا و معرفيا.

إن كتاب النقد الثقافي دراسة في النظرية النقد الثقافي حيث جعل منه مدخلا لفهم العيوب النسقية في الشعر العربي بصفة الخطاب الأبرز للأمة العربية عبر تتبع منافذ هذه العيوب

في كتب التاريخ ومدونات الشعر، حتى ينتهي إلى الشعر المعاصر وقضية الحداثة التي يحاكم فيها أبرز الشعراء المعاصرين كنزار القباني وأدونيس.

وقد انطلقت فكرة مشروع النقد الثقافي عند الغدامي من خلال مجمعة من المناقشات واللقاءات بمجموعة من المدن العربية منذ أواخر سنوات التسعين، وتعد الثقافة العربية الموضوع الأساسي لكتاب النقد الثقافي حيث حاول من خلاله الغدامي مقاربتها ودراستها وفق آليات المنهج الثقافي من خلال ما يتعلق بأدب البادية والشعر النمطي الأدبيات الشعرية. ويعتبر هذا الكتابي أول كتاب عربي يحمل من خلال عنوانه إشارة صريحة إلى تبني النقد الثقافي منهجا في الدراسة والتحليل .

رابعا: الانتقادات الموجهة إلى النقد الثقافي:

نستطيع أن نقول أن أسباب النفور من النقد الثقافي ترجع إلى حقائق مختلفة تمثل العقلية العربية وطريقة التعامل مع الآخر بالإضافة إلى أسباب إنسانية ترتبط بتفكير الأفراد، ويمكن حصر الأسباب التي أدت الى ابتعاد البعض عن نقد الثقافي فيما يلي: (11)

✓ الخوف من الجديد لأنه يحمل أفكار مجهولة بالنسبة لمستقبله، وبالتالي ستكون له آثار مجهولة، والخوف من المجهول يحتاج إلى جرأة وهي لا تتوفر عند الجميع لأنها عادة ما توصف بالتحريض والانحراف والفساد، والابتعاد عن قيم الأصلية وبالتالي يكون الجديد مخيفا بالنسبة لمجتمع محافظ على قيمه ويعتقد ويؤمن بصحتها وقداستها وبالتالي لا يمكنه الابتعاد عن أصوله وتراثه .

✓ اعتزاز العرب بلغتهم و ثقافتهم و هذا الإحساس سحق الطرف الآخر فذلك مدعاة لعدم الاعتراف به ونبذ هذا الطرف حتى لا ييسط ثقافته .

✓ اعتبار أن الغربية ثقافة متحررة تدعو إلى إحلال ثقافتها مكان الإسلام، وهذا جعل المثقف العربي بنبذ الثقافة الغربية فلا يمكن قبولها بديلا للفكر الإسلامي.

✓ زوال سلطة المثقف لأن النقد الثقافي ألغى الطبقة الثقافية من خلال اهتمامه بكل أشكال الخطاب عامة .

ويمكن القول بأن معظم الانتقادات المقدمة للنقد الثقافي مبعثها الاتجاه الثاني المعاكس للاتجاه الحديث إن صح القول، والذي يدعو إلى التمسك بالتراث العربي، والذي يعتبر أن أي تبني لفكرة من الأفكار التي أنتجتها الثقافة الغربية يعتبر شكلا من أشكال الخيانة الصارخة للتراث العربي .

وكخلاصة لكل ما سبق يمكن القول بأن مفهوم النقد الثقافي وإن كان محددًا في بعض الحالات وعند بعض الأعلام فإنه يحمل بعض الغموض لأنه يضم الكثير من المجالات ويتداخل مع الكثير من العلوم ولذلك كان أهم رواده في العالم الغربي ينتمون إلى اختصاصات أخرى غير النقد الثقافي، كما تبين أن له أيضا أعلاما كثيرين في العالم العربي وعلى رأسهم عبد الله الغدامي الذي يعتبر مؤسس نظرية النقد الثقافي في العالم العربي. أما عن أهم مبادئه فقد كانت مرتبطة بموضوع هذا المجال كالانساق المضمرة، المجاز الكلي، التاريخانية الجديدة، ومثله مثل أي منهج أو نظرية غربية لاحظنا أن هناك من تبني هذا المنهج مثل عبد الله الغدامي، وهناك من عارض هذه المنهج وفضل التمسك بالتراث العربي وما قدمه من مناهج ونتائج في الدراسات النقدية.

الاحالات:

- (1) عبد الله الغدامي. عبد النبي اصطياف: ضمن سلسلة حوارات لقرن جديد و موضوعها " نقد ثقافي أم نقد أدبي، ط1. دمشق: دار الفكر ، 2004، ص: 120.
- (2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 12.
- (3) نفسه، ص: 06
- (4) نفسه ، ص: 61
- (5) نفسه ، ص: 59
- (6) رينيه ويليك: " النقد الأدبي نظرة تاريخية ضمن كتاب (ما هو النقد) . ترجمة: سلافة حجازي، مراجعة: عبد الوهاب الوكيل، ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1989، ص: 308.
- (7) ك. م نيوتن: التاريخ الأدبي و مناهجه، ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: عيسى على العلوك، ط1. القاهرة: عين للدارسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، 1996، ص 29.
- (8) ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ط3. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005. - جميل حمداوي: النقد الثقافي، مفهومه، خصائصه، مؤثراته، رواده، منتدى المقالات الأدبية والمكتبة الأدبية.
- (9) ينظر: عبد الفتاح العقيلي: النقد الثقافي، قضايا وقراءات، مركز رؤى للإنتاج الثقافي والإعلامي، ص: 313- 172. جميل حمداوي: المرجع السابق.
- (10) ينظر: عبد الفتاح العقيلي: المرجع السابق، ص: 179 - 195. - فريال جيبو ريغزول: ادوارد سعيد. العالم و النص والناقد، مجلة فصول، م4. ع1. أكتوبر، 1983-

محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي. دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
(11) ينظر: -سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومناقشات. القاهرة: عالم الكتب، د.ط، 2004، ص: 19.

- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل أطروحات رقم (4) جامعة الحسن لثاني، عين الشق، لكلية الأدب والعلوم الإنسانية. مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998.
- زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، ط2. القاهرة: دار الشروق 1973، ص154 .
- فاطمة الهاشي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيترا كلننش، ط1. مصر، 2004
ص: 5-6
- سليمان ياسر: التراث اللغوي العربي اللغوية الحديثة، مجلة اللسان العربي، المغرب،(ع
21)، ص: 31